مقياس: تاريخ أوربا المعاصرة

أستاذ المقياس: خيرالدين سعيدي

السنة: ٢ ماستر

المحاضرة الثالثة: ظهور الفكر القومي في أوروبا خلال القرن التاسع عشر

تمهيد:

من العلامات البارزة على التغيرات في أوروبا في القرن التاسع عشر هو ظهور حركيات سياسية وثقافية وفلسفية لم تكن موجود في أوروبا قبيل هذا الحقبة، ومن بين هذه العلامات أو المميزات الخاصة التي طبعت أوروبا بداية من القرن التاسع عشر وامتدت لتشكل العالم المتوسطي أولا ثم العالم أجمع هي الحركة القومية، فما هو مفهوم الحركية القومية؟ وما هو منطلقها؟ ثم فيما تمثلت مخرجات الحركة القومية في أوروبا؟

أولا: مفهوم القومية

قبل الخوض في معاني القومية والاختلافات الفلسفية بخصوصها، لابد لنا أن نعي أن القومية كفكرة لم تظهر إلا مع نهاية القرن الثامن عشر، أي أنها بعبارة الموسوعة البريطانية لم تكن حاضرة في التاريخ البشري إلا في جزء بسيط جدا منه. ارتبط مفهوم القومية بشكل أساسي بمفهوم الأمة، حيث بدأ الناس يتعرفون على أنفسهم بناءً على الهوية القومية وليس الهوية الدينية أو المحلية التي كانت سائدة قبل عصر القوميات. يميل الفكر القومي إلى إضفاء الشرعية على وجود دولة خاصة لكل شعب، تحددها خصائص خاصة ومشتركة بين أعضائها، مثل: اللغة والتقاليد التاريخية والقيم الثقافية أو القومية. القيم السياسية. وترى الموسوعة البريطانية أن القومية هي تشارك مجموعة من الناس إثنياً واتفاقهم على الخضوع لدولة على هذا الأساس. ظهر الفكر القومي مع الثورة الأمريكية (١٧٧٦) ونضج واكتمل بنيانه مع الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩) وفيما يلي نظرة عامة حول كيفية ظهور الفكر القومي في أوروبا:

1 . عوامل ظهور الفكر القومي:

الثورة الفرنسية:

لقد ساهمت الثورة الفرنسية التي ظهرت سنة (١٧٨٩) بشكل كبير ومباشر في زيادة الشعور القومي لدى معظم الشعوب الأوربية، كما أدت أفكار الثورة خاصة منها المساواة والإخاء بين أبناء المناطق الجغرافية ذات الوحدة القومية إلى تنامي الشعور القومي بين أفراد المناطق المختلفة. كما ساهم التدخل الأوروبي في الثورة الفرنسية ومحاولة قمعها في حصولها على مزيد من الزخم القومي، والذي عرف أوجه مع وصول نابليون بونابرت للحكم وسعيه لتأجيج هذا الشعور للاستفادة منه في حروبه التي خاضها في أوروبا.

الثورة الصناعية:

د. خيرالدين سعيدي

تسارعت العمليات الصناعية، مما أدى إلى التحرك نحو المدن وزيادة التواصل والتفاعل بين المجتمعات المختلفة. هذا ساعد في تكوين هوية مشتركة بين الناس ضمن النطاق الجغرافي واللغوي الواحد كما هو الحال في بريطانيا وفي منطقة الرايخ الألمانية وفي الممالك الإيطالية.

ثورة النقل والاتصال:

ظهور وسائل النقل الجديدة مثل القطار البخاري والسفن البخارية بالإضافة إلى التحسينات التي عرفتها الاتصالات وبالأخص البريد والصحافة ساهم بشكل مباشر في ربط المناطق المختلفة من الدولة وزيادة احتكاك الشعب ببعضه ما أشعرهم بوجود وحدة عضوية ما تحكمهم وهو ما تجسد بشكل واضح في زيادة الوعي القومي.

الصحافة الوطنية:

لقد لعبت الصحافة الوطنية في الدول الأوروبية بداية من نهاية القرن الثامن عشر دورا محوريا في تأجيج الشعور القومي لدى قرائها، وانعكس خطاب النخبة المثقفة في مختلف البلدان على الشعور القومي لدى العامة أيضا، بحيث أصبحت المواضيع الصحفية محل نقاش مستفيض داخل المقاهي الأدبية والتجمعات الثقافية، وبدأت الأصوات تتعالى في الدعوة للاتحاد، وهو ما نجح فعليا في إيطاليا سنة (١٨٧٠) وفي ألمانيا سنة (١٨٧١).

الحركة الرومانتيكية:

الحركة الرومانتيكية ظهرت في أوروبا خلال هذا الوقت، وأكدت على الشعور والعاطفة الوطنية والقومية ودعت لتبنيها كمثل عليا للدولة الواحدة. كما شجعت الحركة على الاهتمام بالتراث واللغة والثقافة المحلية، الأمر الذي أسهم بشكل كبير في تعزيز الهوية الوطنية والقومية داخل الدول الأوروبية.

الثورات والانتفاضات والحروب:

لقد ساهمت الثورات المختلفة والحروب والانتفاضات التي حدثت في أوروبا، بداية من الثورة الفرنسية سنة (١٧٨٩) وثورات الرايخ (١٨٤٨) والحروب الألمانية الفرنسية (١٨٧٠) في زيادة الشعور القومي وتناميه، من خلال محاولة الحكومات العزف على هذا الوتر الحساس واستفاداتها منه فعليا في تأجيج المواقف المتطرفة وأظهرت رغبة الشعوب في الحكم الذاتي والتمثيل الوطني دون التدخل الخارجي.

التحديات الخارجية والتنافس الاستعماري:

أدت الرغبة في توحيد القوى الداخلية لمواجهة التحديات الخارجية والتنافس الاستعماري إلى تعزيز الشعور بالوحدة الوطنية في الدول الأوروبية. ما أدى إلى زيادة التنافس الاستعماري خاصة مع التحاق إيطاليا وألمانيا بركب الدول الموحدة قوميا ومساعي كل منها للظفر بما كانت ترى أنه حقوقها في الاستحواذ على المجالات الحيوية. وهو الأمر الذي حمل الإمبراطوريات المتعددة القوميات مثل: الامبراطورية العثمانية والنمساوية المجرية بالاعتراف بحقوق بعض القوميات داخلها في المرحلة الأولى ثم الاعتراف لها بحقوق أكبر

د. جمال الدين سعيدي

والتأكيد على خصوصياتها الثقافية والإثنية الأمر الذي أدى لاحقا إلى تفتيت هذه الامبراطوريات وظهور دويلات قومية على أنقاضها.

تأثير المفكرين والكتّاب:

لقد لعبت الشخصيات الفكرية دورا محوريا في زيادة الشعور القومي لدى الشعوب الأوربية، وكان عملها مركزيا في حدوث الوحدة السياسية القومية في أوروبا فشخصيات مثل: يوهان غوته في ألمانيا، جوزيبي ماتزيني في إيطاليا، كانا بحق قطب رحى التفت حوله العديد من الشخصيات والجمعيات الفكرية والسياسية وتبنوا مطالبهم إلا أن أصبحت مطالبهم حقيقة واقعية.

لقد شهدت أوروبا نهاية القرن الثامن عشر ظهور الفكر القومي إلا أن توسع هذا الشعور والفكر كان فعليا مع مطلع القرن التاسع عشر في اليونان التي نجحت في تحقيق استقلالها عن الدولة العثمانية بدعم إنجليزي فرنسي ثم تطور الفكر القومي أكثر في أوروبا مع نجاح الوحدة الإيطالية ثم الوحدة الألمانية في تحقيق منتهى طلب الفكر القومي وهو الدولة الوطنية. إلا أن هذا الفكر لم يكن خاليا من السلبيات التي انعكست على أوروبا والعالم القريب من أوروبا بشكل كامل، إذ كما أدى الفكر القومي إلى تشكل كيانات سياسية متجانسة في أوروبا أدى أيضا إلى تشتت وزوال امبراطوريات كبرى، كما أدى إلى صدام شديد بين القوى التقليدية في أوروبا والدول القومية الناشئة، وهو ما حمل جميع الأطراف الأوروبية على محاولة هذه الخلاف بما عرف تاريخيا بنظام المؤتمرات.

ثانيا: نظام المؤتمرات في أوروبا القرن التاسع عشر

1 . الأسباب الرئيسية وراء هذه المؤتمرات:

أتى نظام المؤتمرات كنتيجة لما دعت إليه معاهدة باريس الثانية بخصوص اللقاءات الدورية لأعضاء دول الحلف الرباعي من خلال الملوك أو من ينوب عنهم.

إعادة ترتيب الأمور بعد الحروب:

حيث شكل هذا النظام ملاذا أساسيا استعانت به الدول الأوروبية المنتصرة لتحقيق وتثبيت مصالحها بعد الحروب فعلى سبيل المثال أتى مؤتمر فيينا، الذي تم بعد سقوط نابليون. **كان الهدف منه إعادة ترتيب الحدود والتأكيد على التوازن بين القوى الأوروبية لمنع نشوء إمبراطورية مثل تلك التي أسسها نابليون.**

التوسع الاستعماري: القوى الأوروبية كانت في **سباق للاستيلاء على المستعمرات حول العالم، خاصة في أفريقيا.**

السعي لتجنب النزاعات:

عندما كان هناك توترات بين القوى الكبرى، كانت المؤتمرات وسيلة للتفاوض وتجنب النزاعات المباشرة. عبر هذه المؤتمرات، كانت القوى الأوروبية تسعى لتحقيق توازن القوى والحفاظ على السلام الأوروبي.

د. جمال الدين سعيدي

دعم الديبلوماسية متعددة الأطراف:

كانت هذه المؤتمرات تمثل فرصة للدول الأوروبية لمناقشة القضايا المشتركة وتحقيق التوافق حولها. بشكل عام، كان الهدف من هذه المؤتمرات هو **تحقيق استقرار سياسي واقتصادي في أوروبا وحول العالم، وضمان التوازن بين المصالح المختلفة للقوى الأوروبية الكبرى.**

حاولت الدول الأوروبية الحفاظ على التوازن الأوروبي الموجود، وقد دافع عن هذه الفكرة ميترنيخ الذي كان يعي بأن أي صدام بين طرفين في أوربا سيتحول سريعا إلى صدام شامل بين الدول الأوروبية، لذا رأى أن أفضل ما يمكن أن يحدث هو أن يوجد توازن بين القوى الأوربية يسمح بحل المشكلات من خلال المفاوضات والدبلوماسية.

2. أهم المؤتمرات التي شهدتها أوروبا

مؤتمر فيينا (1814-1815):

لقد أتى مؤتمر فينا كأول المؤتمرات الكبرى التي ضمت عددا كبيرا من ممثلي الدول الأوربية وكان غرضه الأساسي مناقشة مسألة الوقوف في وجه الأطماع الفرنسية في أوروبا والحؤول دون عودة نابليون للحكم مرة أخرى في فرنسا من جهة، ومن جهة ثانية محاولة القضاء علي نظام القرصنة في المتوسط لأجل ضمان التجارة الحرة للسفن الأوروبية.

أهم مخرجاته:

تم تقسيم الأراضي وإعادة الحدود بين الدول الأوروبية لما قبل حروب نابليون بونابرت، مع تقوية النمسا وبروسيا وروسيا وبريطانيا وجعلها القوى الرئيسية المسيرة لشؤون أوروبا.

كما أسفر عن تكوين نظام معروف بـ "نظام الميتر نيش" الذي استمر لعدة عقود. والذي نص على استمرار التخالف بين الدول الثلاث الرئيسية مع استمرار التشاور بينها بخصوص المسائل الكبرى وتم بناء عليه تأسيس تحالف معروف بـ "التحالف المقدس" بين النمسا وبروسيا وروسيا للحفاظ على النظام القائم ومنع الثورات.

مؤتمر إكس لا شابيل ١٨١٨:

أتى نتيجة اجتماع الحلف الرباعي في وستفاليا في ألمانيا لمناقشة مسألة التعويضات الفرنسية على الحرب وجلاء جيوش الاحتلال الأوروبي من فرنسا.

أهم مخرجاته:

وتم التوافق على جلاء القوات الأوروبية من فرنسا في (٩ أكتوبر ١٨١٨)

كما تم الاتفاق على دعوة فرنسا للانضمام إلى الحلف علانية، في الوقت نفسه تم إقرار معاهدة سرية تنص على بقاء التحالف في حالة استعداد ضد فرنسا وطموحاتها مستقبلا.

د. حمزة الدين سعيدي

وبالتالي أصبحت توجد محالفة خماسية ضد الثورات الشعبية والتحررية من ربقة الأنظمة الملكية الديكتاتورية.

مؤتمر برلين الأول (1878):

انعقد هذا المؤتمر ردًا على التغييرات في البلقان بعد الحروب التي جرت بين روسيا والإمبراطورية العثمانية. مثلما ناقش عددا من القضايا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تخص الدول الأوروبية حيث كانت توجد قضايا اقتصادية واجتماعية تحتاج إلى التنسيق والتعاون بين مختلف الدول الأوروبية.

أهم مخرجاته:

تم الاعتراف باستقلال بعض الدول البلقانية مثل: رومانيا، صربيا، والجبل الأسود. أعطت البوسنة والهرسك للنمسا-المجر كمنطقة وصاية.

كما أدت بعض قرارات مؤتمر برلين الأول إلى تقويض سلطة الدولة العثمانية وأدت إلى توترات بين روسيا والنمسا-المجر بشأن النفوذ في البلقان.

مؤتمر برلين (1884-1885):

كان هدفه الأساسي محاولة تقليص الخلافات بين الدول الأوروبية خاصة بين فرنسا والدول الأوروبية الأخرى بخصوص عدد من المسائل أهمها: مسألة تركة الدولة العثمانية وتقسيم مناطق النفوذ في أفريقيا بين الدول الأوروبية لتجنب النزاعات العسكرية بينها.

أهم مخرجاته:

تقسيم أفريقيا بين القوى الاستعمارية الأوروبية.

تحديد قواعد للمنافسة الاستعمارية والاحتلال.

التأثير على التحالفات: رغم أن هذا المؤتمر قلل من التوترات الاستعمارية الفورية، إلا أنه أسهم في تصاعد المنافسة بين القوى الأوروبية في السنوات التي تلت ذلك. هذه المؤتمرات بالإضافة إلى تقسيم الأراضي والنفوذ، أدت إلى تكوين تحالفات وتحالفات مضادة بين الدول الأوروبية.

في النهاية، أدت هذه التحالفات والتوترات إلى نشوء الحروب والصراعات في القرن العشرين، بما في ذلك الحرب العالمية الأولى.

د. جمال الدين سعيدي

موارد المحاضرة:

الكتب الأساسية:

عصر القومية، هانز كوهن. المترجم / المحقق: عبد الرحمن صدقي الناشر: المركز القومي للترجمة الطبعة: 2009.

قصة حضارة، وول دورنت، ترجمة فؤاد أندراوس، المجلد الحادي والعشرون، مكتبة الأسرة، ٢٠٠١.

https://www.youtube.com/watch?v=7IV1INg77VU
Nationalism in Europe

https://www.youtube.com/watch?v=WPk_Z_3TeaM
Nationalisme, Libéralisme Et Socialisme Au XIXe Siècle

https://www.youtube.com/watch?v=PMtbFbgHkdA
The Rise Of Nationalism In Europe (7:00-27:00)

https://www.britannica.com/topic/nationalism

https://www.youtube.com/watch?v=GrzXA9z30TM
القومية، جورج ألفار.